عملية القرن القادم

محمود سالم

عملية القرن القادم

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

عملية القرن القادم

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٣٠٠٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
المفاجأة!	١١
البحث عن «داني مون»!	١٥
الحلُّ عند «بيتر»	١٩
رجلٌ خطيرٌ!	٢٣
الجسر القديم!	٢٧
الفخُّ!	٣١
دخولُ فيلا «داني»!	٣٥
الكشاف!	٣٩
النفق القاتل!	٤٣
الخدعة!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

المفاجأة!

انتهى «المؤتمر العلمي لتكنولوجيا المعلومات» ... المصاحب «للمعرض العالمي للكمبيوتر»، ولم يُفصح العالم الكبير «داني مون» عن مفاجآته التي نوَّه عنها في كثير من الصحف في الفترة الأخيرة.

ومن بين طرقات المعرض ... تجمَّع عددٌ كبير من الصحفيِّين وأحاطوا به يسألونه عن سبب عدم تنفيذه لوعده.

غير أنهم لم يخرجوا منه بنتيجة ولا بردٍّ مقنع.

ولاحظ الشياطين الذين كانوا ضمنَ زوارِ المعرض ...

أنه كان ممتقعَ الوجه خفيضَ الصوت ... يكرِّر الكلمةَ أكثر من مرة.

وكأنه غيرُ متأكد من أنه قالها.

وفي اليوم التالي ...

نشرَت الصحيفة الألمانية خبرًا ...

عن دخول «داني مون» أحد مستشفيات المدينة الألمانية «شتوتجارت»، المنعقد به المعرض.

وطرحَت «إلهام» الجرائدَ بعصبية فوق مائدة الطعام.

فقد شعرَت بالإحباط ... لأنها لم تخرج بالنتيجة التي كانت ترجوها من المؤتمر ...

ولاحظ عليها «أحمد» ذلك ... فآثر أن يُخرجَها مما هي فيه.

فقال لها: برفق يا «إلهام»!

فنظرَت له مستنكرةً دون أن تنطق.

فاستطرد قائلًا دون أن يلتفتَ لها: كدتِ أن تقلبي كوب الشاي.

فعلَّقت بصرَها عليه ... والتزمَت الصمت.

وشعر بنظراتها له ... فرفع عينَيه ينظر لها ... محاولًا إثارةَ ابتسامتِها.

فلم تخرج عن تجهُّمِها ...

فقال لها: لا أجدُ سببًا لكلِّ ذلك!

إلهام: كل ماذا؟

أحمد: كل هذه العصبية والتجهُّم.

وغاظها أنه يتصنَّع عدمَ المعرفة ... فعادَت إلى صمتِها مرة أخرى. ولكن هذه المرة كانت تطرقُ بأصابعها على المائدة في عصبية ... طرقاتٍ متتابعةً ... أثارَته، فقال لها منفعلًا: أكلُّ ذلك لأجل «داني مون»؟! بداخلها شعرَت أنها انتصرَت عليه.

فها هو أخيرًا يتخلَّى عن هدوئِه، وبرودِه المصطنعِ.

فكفَّت عن الطَّرقِ على المائدة ...

ونظرَت له مليًّا وهي تبتسمُ ابتسامةً هادئة ...

فاستطردَ قائلًا في انفعال مصطنع: أم أن ذلك من أجل المفاجأة؟!

وشعرَت في كلامه أنه يسخرُ منها ...

فقالت له: ألم نأتِ هنا من أجل المفاجأة؟!

أدخل ردُّها الراحةَ في قلبه ... فها هو يجدُ منفذًا للحديث معها ... وتغيير مشاعر الإحباط التي انتابَتها ...

فقال لها: لم تَعُد المفاجأة وحدَها هي التي تشغلني.

إلهام: أعرف ماذا ستقول!

أحمد: أتعرفين أنَّ تراجُعَه عن الإفصاح عنها تركَ بداخلي مساحةَ غموضٍ كبيرة؟

إلهام: أنا أيضًا ... ولكني كنت في شوقٍ لمعرفتها ...

أحمد: لقد أصبحت مشغولًا عن المفاجأة ... بما حدث لصاحبها.

إلهام: تقصد سرقتها منه؟

أحمد: نعم ... وتهديده لكيلا يُفصحَ عنها ... ومَن الذي يُهدِّده؟

إلهام: أشعر أنك تنوي التدخل.

أحمد: وأنت؟

إلهام: نعم أتدخَّلُ ... ولكن بعد مناقشةِ الأمرِ مع رقم «صفر».

أحمد: ومَن قال لك إني أستطيع التحرك دون أمرٍ مباشر منه.

إلهام: ولا تنسَ أيضًا أن هذا الموضوعَ خارجُ إطارِ عملنا.

أحمد: بل إني أرى أنه في صميم عملنا.
وكأن هناك شيئًا ما يربط ما بين عقول وقلوب أفراد المنظمة.
فقبل أن يقومَ بالاتصال برقم «صفر».
انطلقَت الموسيقى من تليفونه المحمول.
وعندما لم يجد على شاشته رقمَ الطالب.
عرف أن الذي يطلبه هو رقم «صفر».
وقد صدَقَ حدْسُه عندما سمع صوتًا يقول: إيه «أحمد» ...
أحمد: مساء الخير يا زعيم ...
لقد كنت أنوي الاتصال بك ...
رقم «صفر»: وأنا أيضًا ...
هل انتهى المؤتمر؟
أحمد: نعم ...
رقم «صفر»: وهل عرفت المفاجأة؟
أحمد: لقد كان ذلك هو سبب رغبتي في الاتصال بك.
رقم «صفر»: لا أفهم.
أحمد: لم يُعلن «داني مون» المفاجأة!
رقم «صفر»: أهناك سبب خطير؟
أحمد: لم يصرِّح بذلك، وكلُّنا نشعرُ به ...
رقم «صفر»: ومتى ستعودون؟
أحمد: نحن لا ننوي العودة.
رقم «صفر»: هل ستنتظرون المفاجأة؟!
أحمد: بل سنبحث وراءها.
رقم «صفر»: أين؟
أحمد: هنا في «شتوتجارت».
رقم «صفر»: إن علاقاتي في ولاية بادن كلِّها ... وأستطيع الحصولَ على ما أريده من معلومات.
أحمد: لم يستطع أحدٌ هنا الوصول لشيء.
رقم «صفر»: أنت لستَ في مهمة.

أحمد: أرجو أن نعتبرَها مهمة ... وأن نُكلَّف بها الآن.

رقم «صفر»: سأنتظركم في المقرِّ السِّري بـ «الهرم» غدًا مساءً.

أحمد: ولكن ...

رقم «صفر»: غدًا صباحًا تقوم طائرةُ «مصر للطيران» من مطار «فرانكفورت»، ستكونُ عليها. بلِّغ تحياتي لـ «إلهام».

البحث عن «داني مون»!

تناقل الأثيرُ في سماء القاهرة خبرَ عودةِ «أحمد» و«إلهام» من ألمانيا ...

كذلك رغبةُ رقم «صفر» في عقدِ اجتماعٍ في مساءِ نفسِ اليومِ للأهمية.

وتوافدَت على مقرِّ «الهرم» سياراتُ بعضِ الشياطين، الذين كانوا في مهامَّ بالقاهرة وخارجها ومن أبواب جراج المقرِّ السِّري الكبير بالصحراء الغربية.

انطلقَت سياراتُ البعضِ الآخرِ منهم، تلتهم الطريقَ ... لتلحقَ بميعاد الاجتماع.

وفي قاعة الاجتماعات بمقرِّ «الهرم» كانت الاستعدادات على أشدِّها.

فصدر أمرٌ مفاجئٌ بعقدِ اجتماع عاجل ... يعني أن الأمرَ خطيرٌ.

وقبل ميعاد الاجتماع بأكثر من ساعة، التقَت سيارات العائدين من «ألمانيا» مع العائدين من الصحراء الغربية.

وتسابق الجميعُ في شارع «الهرم» ... الذي كان ولحسنِ حظِّهم هادئًا.

إلى أن بلغوا ميدان الرماية ...

فسمعوا جميعًا من تابلوه سياراتهم ... ترحيبَ المقرِّ ... إلى الممرِّ المرصوفِ بين الخضرة الكثيفة.

انتقلوا تباعًا حتى وصلوا إلى بوابة الجراج التي انفتحَت قبل أن يبلغوها.

وما إن استقرَّت فيه سياراتهم حتى غادروا الجراج، وهم يتبادلون التحية ... ويستعرضون في عجالة ... ما مرَّ بهم من أحداث.

وفي طرقاتِ الدورِ العلويِّ تفرَّقوا إلى أن يجمعَهم موعدُ اجتماعِ المساء، وقبل الثامنة بدقائق انطلقَت الإشاراتُ الصوتية المتقطعة في غُرَف الشياطين ... وفي قاعة الكمبيوتر تُنبِّههم إلى قربِ موعدِ الاجتماع ... وضرورة وجودهم في قاعة الاجتماعات.

وقبل أن تنطفئَ أنوارُها ... كانت القاعةُ قد احتوَت كلَّ جماعةِ الشياطين ... يتحادثون فيما بينهم هامسين.

وما إن ألقى عليهم رقم «صفر» تحيتَه، حتى هدأَت القاعةُ تمامًا ... في انتظار معرفةِ سببِ استدعائهم ...

وسبب عقدِ هذا الاجتماعِ بهذه السرعة.

وطال انتظارُهم دون أن يتحدث.

فاندفع «أحمد» يسأله قائلًا: لماذا عُدْنا من «ألمانيا»؟

رقم «صفر»: لأنه لم تكن لدينا مهمةٌ هناك.

أحمد: والكشف عن غموض مفاجأة «داني مون»؟

رقم «صفر»: حتى الآن هذا الموضوع لا يهمُّنا.

إلهام: لقد تعرَّض الرجلُ لضغوطٍ قد تصل إلى تهديد حياته!

رقم «صفر»: وكيف عرفت؟

إلهام: لم يكن يستطيعُ الكلامَ في المؤتمر إلا بصعوبة.

أحمد: ولم يستطع أن يُجيبَ على أسئلة الصحفيين.

إلهام: وفي اليوم التالي للمؤتمر عرفنا أنه في المستشفى.

رقم «صفر»: وربطتم طبعًا بين هذا ... وبين عدمِ إفصاحه عن المفاجأة التي سافرتم لأجلها؟

إلهام: ألَا ترَى سيادتكم أن شيئًا خطيرًا يحدثُ؟

رقم «صفر»: من الجائز أن يكون كلامُك هذا صحيحًا ... ولكنها ليسَت قضيَّتَنا ...

أحمد: كيف؟

رقم «صفر»: لا الرجلُ رجلنا ... ولا ما حدث يُهدِّدنا ... أو يُهدِّد أيَّ دولةٍ عربية ...

إلهام: هذا بالنسبة لما حدث لـ «داني مون».

أحمد: أما بالنسبة للمفاجأة ... فقد تعنينا.

رقم «صفر»: تقصد أن يكون البرنامجُ الجديد الذي كان سيُفصح عنه ... خطيرًا إلى درجة تضرُّنا؟

أحمد: نعم ...

إلهام: و«داني مون» ليس مؤلفَ برامج فقط، بل له أبحاثٌ في مجال «البيو إلكترونكس»!

أحمد: إنه علمٌ جديدٌ يجمع بين علمِ الكائناتِ الحية والإلكترونيات.

رقم «صفر»: وما رأيُ بقيةِ الزملاء؟

عثمان: أرى أن يسافرَا في مهمة استطلاعية.

ريما: على أن يعودَا إلينا إذا ما تطورَ الأمرُ لأكثرَ من ذلك لنرى ما يمكن عمله.

رقم «صفر»: هل لأحد رأيٌ آخر؟

ساد الصمتُ دقائق ... مما يعني أنهم موافقون على رأيِ «عثمان» و«ريما» ...

دقائق وقال رقم «صفر»: وأنا أيضًا أوافق على هذا الرأي ... استعدَّا للسفر ...

وما إن شعر الشياطين بأن رقم «صفر» قد غادر القاعة حتى التفُّوا حول «أحمد» و«إلهام» يُبدون وجهةَ نظرهم فيما حدث وما يجب أن يحدث.

واتفق جميعُهم على إعدادِ ملفٍّ شاملٍ عن «داني مون» مستعينين بالإنترنت؛ فالرجلُ باحثٌ ومبتكرٌ في مجال الكمبيوتر وصناعة المعلومات، وستكون له صفةٌ على الإنترنت. وفي قاعة مركز المعلومات، اتخذ كلٌّ منهم مكانًا خلف جهازِ كمبيوتر ...

وانشغلوا عن بعضهم البعض بالبحث عن «داني».

وساد القاعةَ صمتٌ شديد ...

لم يقطعه إلا تكَّاتٌ تصدر من لوحة مفاتيح هنا ... وأخرى هناك.

وبعد فترة من الانهماك في العمل، عاد «أحمد» إلى موقعه ... واتخذ له كرسيًّا في صدر القاعة وجلس يراقب بقية الشياطين.

وشعرَت به «إلهام» فاستدارَت تسأله قائلة: هل وصلت إلى شيء؟

أحمد: لا. لم أَصِل ... وأنت؟

إلهام: لقد أعيتني الحِيَلُ.

وسمع «عثمان» ما دار بينهما.

فالتفتَ إليهما وهو يقول: هذا الرجل غير مسجل على الإنترنت.

أحمد: ألَا تعرف اسمَ أحدِ مؤلفاته؟

عثمان: لقد بحثت في مجال نظم المعلومات فلم أجد له كتابًا واحدًا من تأليفه ...

إلهام: كيف وهو يحاضر في مؤتمرات مهمة مثل المؤتمر الذي حضرناه؟!

أحمد: قد يكون أحدُ الزملاء في طريقه للوصول إليه.

أثارَت «عثمان» جملةُ «أحمد»، فصاح قائلًا: هل توصَّل أحدُكم إلى شيء؟

وتمنَّى لو أنه لم يفعل ذلك، عندما سَمِعهم جميعًا يقولون له: هس.

وبدَا عليه الارتباكُ ... وجلس مأخوذًا ينظرُ لهم وهو غير مصدق.

وأثار منظرُه المرحَ في نفس «إلهام»، فقالت له هامسة: لا عليك لم يَصِل أحدٌ إلى شيء بعدُ.

وسمعَتها «ريما»، فقالت لها: لا بل وصلت. وتوقَّف الجميعُ عن الحركة والتفتوا لها وهم يقولون: وصلت لماذا؟

الحلُّ عند «بيتر»

شعر «عثمان» بالهزيمة أمام مقدرة «ريما» على تحقيق ما عجز عنه ... فسألها قائلًا: أريد أن أعرف أولًا كيف وصلتِ؟

ريما: إنها مقدرةٌ خاصة.

إلهام: أبلغنا بما وصلت إليه «ريما».

واعترض «عثمان» قائلًا: لا من فضلك ... أريد أولًا معرفةَ كيف وصلتِ ... حتى نتحقق من صدقِ المعلومات.

أحمد: لقد اتصلت بـ «بيتر».

نظر الجميعُ لها في دهشة، وابتسم «أحمد» في سعادة ... مقدرًا ما يتمتع به عقلُها من مرونة ...

ألم يَقُل عنهم «عثمان» في سعادة بمشاغبته الأثيرة، وقال لها يُداعبها: أنا أصدِّقُ ما يقوله بـ «بيتر» ...

فابتسمَت وقالت: قال إن «داني مون» لم يسجل رسائلَ دكتوراه في أيِّ جامعةٍ من جامعاتِ العالم.

فهد: رغم أنه عالِمٌ كبيرٌ ...

أحمد: إن مجال الكمبيوتر يتميز بالحرية الشديدة في الإبداع ... ومعظم صنَّاع البرامجِ ومطوري أجهزةِ الكمبيوتر لا يسجلون إبداعهم كرسائلَ علميةٍ.

ريما: هذا بالرغم أنه يعيش في مدينة «هايدلبرج» معقلِ الأبحاثِ البيولوجيةِ في كلِّ أوروبا ... وبها مقرُّ أبحاثِ أكبر شركةِ كمبيوتر في العالم.

إلهام: IBM.

ريما: نعم.

أحمد: لقد كان طالبًا بها!

فهد: إن أكثرَ العلماءِ الحاصلين على «جائزة نوبل» تخرَّجوا في هذه المدينة.

عثمان: وحالته الاجتماعية؟

فداعبَته «ريما» قائلةً: لماذا؟

أحمد: لا وقتَ لدينا يا «ريما».

ريما: يعيش وحيدًا في فيلَّا تُطلُّ على نهرِ «النيكر»!

فعلَّقت «زبيدة» قائلةً: المكان الذي يحبُّه رقم «صفر».

عثمان: لماذا يعيش وحيدًا ... أليست له زوجة؟

ريما: لم يتزوج.

عثمان: أليس له أولاد؟

لم تتمالك «ريما» نفسها ... وضحكَت من قلبها، وكذلك بقية الشياطين.

وتولَّت عنها «إلهام» الإجابةَ، فقالت له: اسأل «بيتر»!

أحمد: وأين يعمل؟

ريما: في منزله.

قيس: إنه عصر الكمبيوتر.

عثمان: إذن البداية ستكون من منزله.

أحمد: هل لديكِ عنوانه؟

ريما: لا لم يُعطِني عنوانَه.

قيس: إنه مطلب سهل.

عثمان: نعم ... المهم أننا حدَّدنا الدولة والمدينة التي يعيش فيها.

استدار «قيس» على مقعده ... فأصبح في مواجهة الكمبيوتر ... وانشغل عن زملائه بالدخول على شبكة الإنترنت.

في انتظار حصوله على عنوان «داني مون».

تساءل «أحمد» عن مؤلفاته ...

ولم يكن لدى «ريما» إجابة ...

وكان الحلُّ عند «عثمان» الذي قال: إن زيارة واحدة لبيته سنعرف منها كلَّ ما نريده ...

أحمد: ماذا تعني بقول سنعرف ... هل ستأتي معنا؟

نظر له «عثمان» مبهوتًا ... فهو لم يكن يقصد ذلك.

ولم يعرف أن «أحمد» هو الذي يقصد ذلك، إلا عندما قال له: وأنا أحتاجك معنا يا «عثمان» ...

عثمان: لا ... لا ... ليس لديَّ وقتٌ.

أحمد: إنه أمرٌ ...

عثمان: وأنا سأنفذه.

وتوقَّف حوارهم عندما استدار لهم «قيس» قائلًا: لو حصلت عليه ...

أحمد: وأنا سأُعِدُّ نفسي للسفر.

إلهام: وأنا كذلك.

أما «عثمان» فقد غادر القاعةَ دون تعليق ... مما أثار دهشةَ زملائه وقلقَ «ريما» التي قالت: هل تسبَّبنا له اليوم في كثيرٍ من الإحراجِ؟

إلهام: لم يحدث.

بو عمير: لقد خرج ليعودَ لنا بمفاجأة.

وقد صدق حدْس «بو عمير» ... فلم يكَد يُكمل جملتَه ... حتى ظهر «عثمان» يقف بالباب رافعًا يدَه اليمنى لأعلى وبها كرتُه السوداءُ الجهنمية فصاحَت «ريما» قائلة: أوَّه الكرة العتيقة.

عثمان: تكلَّمي باحترام ... فهي لم تَعُد عتيقة.

مصباح: كيف؟

عثمان: إنها تُطلق عند الاصطدام ... صدماتٍ كهربائيةً ... وأيضًا تنكمش ذاتيًّا ...

فقال له «أحمد» مداعبًا: هل سكنَتها روح شريرة؟

عثمان: بل شحنة كهربائية ووحدة كمبيوتر دقيقة.

وفجأةً قطَع على الشياطين حديثَهم ... صفيرٌ حادٌّ متقطعٌ ... يصدر من جهاز الكمبيوتر الخاصِّ بـ «ريما».

وعندما ضغطَت زرَّ الاستجابة صاحَت قائلة: إنه «بيتر».

اندهش الجميعُ وترقَّبوا سماعَ أخبارٍ جديدة ومهمة؛ فهذا هو السبب الوحيد الذي يجعل «بيتر» يتصل في مثل هذا الوقت.

انشغلَت «ريما» معه لدقائق قبل أن تناديَ على «أحمد» قائلةً له: إنه يريدك ... فقد عرف أنك هنا ...

وعندما رأَته يقف بجوارها، تركَت له مقعدَها.
وعادَت لزملائها تقول: إن لديه أخبارًا جديدةً.
عثمان: عمَّن؟
ريما: عن «داني مون».

رجلٌ خطيرٌ!

كان اللقاءُ حارًّا على شاشة الكمبيوتر بين «أحمد» و«بيتر»، وبدَا «بيتر» يعرف الكثيرَ من أخبارهم.

وكانت هذه الأخبارُ عن عملية «داني مون».

فقد سأل «أحمد» قائلًا: هل حجزتَ للسفر؟

أحمد: نعم.

بيتر: أنا لا أرى داعيًا لهذه الرحلة ...

أحمد: لماذا؟

بيتر: هل هناك ما يهمُّكم غير ذلك؟

أحمد: هل يمكنك معرفةُ شيء عن المفاجأة التي لم يُعلنها.

بيتر: لا ...

أحمد: لذلك سأسافر.

بيتر: عليك إذن أن تأخذ حذرَك ... فقد كان «داني مون» ضمنَ فريقٍ من العلماءِ يعملون في أبحاثِ الحربِ «البيكترولوجية».

أحمد: أشكر لك اهتمامَك واتصالَك.

بيتر: وأنا أتمنى لكم التوفيق.

ورغم أنه لم يُشعِر «بيتر» بأهميةِ هذه الأخبارِ ... إلا أنه عاد إلى زملائه يحادث نفسه وهو شارد الذهن ...

وأثارَت حالةُ «عثمان» الذي اندفع يقول: دعوه الآن؛ فالكمبيوتر بداخله يعمل.

ريما: هو سيتحدث وحدَه ويُخبرنا بكل شيء.

أحمد: «داني مون» رجلٌ خطيرٌ.

إلهام: لماذا؟

أحمد: لقد كان يعمل ضمن فريق أبحاث الأسلحة «البكترولوجية».

ريما: إذن فالمفاجأة ...

قيس: كانت تتعلق بهذا الموضوع!

عثمان: يجب إخبارُ رقم «صفر» قبل سفركم.

وما كاد يُتمُّ جملته، حتى شعر بوخز ساعته في رسغه.

فضغط زرًّا بها ... وتلقَّى رسالةَ رقم «صفر».

وكانت تقول: لا تغييرَ في قرارِ السفرِ ... وأُهنِّئك على قرارِ سفرِ «عثمان» معكم ... كونوا حذرين ... أتمنَّى لكم التوفيق.

علَت وجهَ «أحمد» ابتسامةٌ ... تحوَّلَت إلى ضحكة عالية ... اندهش لها الشياطين.

فقالت له «زبيدة»: أضحكنا معك!

أحمد: رقم «صفر» يعرف كلَّ شيء ... ويعرف أني كنت أنوي الاتصال به ...

إلهام: فاتصل بك هو وألغى السفر.

أحمد: لا بل ميعادُ السفرِ كما هو.

واستعدادًا للسفر ... غادر «أحمد» قاعة الاجتماعات في طريقه إلى غرفة نومه، وفعلَت الشيءَ نفسَه «إلهام» ... ومن ورائها «عثمان» الذي مرَّ على غرفة «أحمد» فلم يجده ... ووجد نورَ الحمام مضاءً ... وسَمِع صوتَ الماء المندفع من ثقوبِ الدشِّ.

فأسرع بالعودة إلى غرفته ... ومنها إلى الحمام الملحق بها ... فقد أغراه صوتُ الماء ...

وفي صباح اليومِ التالي ... وقبل أن تُشرقَ الشمس ... استيقظ الشياطين الثلاثة ...

فقد أيقظَتهم ساعتُهم الداخلية ... قبل أن تُوقظَهم ساعةُ الحائط المعلقة في غُرَفهم ... وقبل ميعادِ قيام الطائرة بنصف ساعة ... كانوا موجودين في المطار ...

وفي مكتب شركة «مصر للطيران» وجدوا تذاكر السفر في خطاب مكتوب عليه: «لا يُفتح إلا في الطائرة.»

وفي مكتب الجوازات ... وجدوا جوازات سفرهم ... وبها تأشيراتُ دخولهم «ألمانيا» وولاية «بادن» بالذات.

وقد كانت هذه التأشيرة مثارَ تساؤل «إلهام» في الطائرة ... وقبل أن يفتحَ خطابَ المنظمة ... أجابها قائلًا: إن «ألمانيا» جمهورية اتحادية ... تتألَّف من ١٦ ولاية، وكلُّ ولاية هي دولة ... بمعنى كلمةِ دولة ... أي لها دستورٌ خاصٌّ ... وعاصمة ... كولايةِ «بادن» التي نتوجَّه إليها الآن مثلًا.

إلهام: إنها عاصمة.

أحمد: نعم ... وعاصمتُها «شتوتجارت» التي حضرنا فيها المعرض.

وكان «عثمان» يتابع حديثهما ... في انتظارِ أن ينتهيَ.

فهو في شوق لمعرفة ما بالخطاب.

ولاحظ «أحمد» ذلك ... فنظر له مبتسمًا ...

ثم قام بفتح الخطاب ... وانشغل فيما بين سطورِه لحظات ... ثم أشار له.

وما إن مال عليه ... حتى قال لهما: سنعتمد في هذه العمليةِ على كفاءتنا الشخصية.

وفي مطار «فرانكفورت» ... سيقوم أحدُ المندوبين بتسليمنا حقيبةَ مهماتٍ.

عثمان: وأين فندق «ريتر» هذا؟

أحمد: في «هايدلبرج».

هبطَت الطائرة في مطار «فرانكفورت».

وانتهى الشياطين سريعًا من إجراءات الخروج منه ... ودخول «هايدلبرج».

ومن وسط الضباب الكثيف ... ظهر لهم رجلٌ يرتدي قبعةً سوداءَ ... وعلى عينَيه نظارةٌ ذهبية ... وبيده حقيبة ديبلوماسية.

ما إنْ رآهم ... حتى اقتربَ منهم وهو يقول بالعربية: صباح الخير ...

أحمد: صباح الخير ... هل أنت عربيٌّ؟

الرجل: تركيٌّ، واسمي «كاظم».

وكان هذا الحوار هو تأشيرة حصولهم على الحقيبة. ثم عقَّب بعدها قائلًا: عندما تحتاجون لي ... سأكون موجودًا. أهلًا بكم ...

وما كاد يُتمُّ كلامَه ... حتى ابتلعه الضبابُ.

الجسر القديم!

كانت السيارة التي تنقل الشياطين من المطار إلى مدينة «هايدلبرج» ... تسير بصعوبة وسطَ الضبابِ الكثيف الذي يغطي الطريق ...

وتذكَّرَت «إلهام» ما حكاه لها رقم «صفر» عن الأعشاب الخضراء التي تُحيط بالطريق ... تُغطِّيها طبقةٌ رقيقة من الجليد الأبيض ...

وصدقته فيما قاله من أن الحقيقةَ أجملُ من الخيال.

والتفتَت إلى الناحية الأخرى ... عندما أشار لها «أحمد» قائلًا: الجسر القديم.

وهنا سأل «عثمان» السائقَ بالألمانية قائلًا: ما هذا؟

وابتسم السائق وهو يقول بالعربية: إنها بوابة «نهر النيكر». ولا تندهشوا فأنا تركيٌّ ... وعملَت لفترة كبيرة بدول الخليج.

أحمد: إنك التركيُّ الثاني الذي نقابله اليوم.

عثمان: أي أننا لم نقابل إلا أتراكًا حتى الآن.

إلهام: وطبعًا هي فرصة سعيدة ... ولكن ما سرُّ ذلك؟

السائق: الأتراك موجودون في معظم دول أوروبا ... وقد استعمروها في عصور مضَت ...

أحمد: إن كثيرًا من المصريين لهم أصول تركية.

السائق: نعم ... أنا أحب المصريين جدًّا ...

أحمد: إذن أستطيع أن أعتمد عليك ...

السائق: نعم ... بكل سرور ...

أحمد: هل لديك تليفون محمول؟

السائق: نعم ...

أحمد: أعطني رقمه.

وعندما وصلوا إلى الفندق ... كانوا قد وطَّدوا صلتَهم بالسائق ... وعقدوا معه اتفاقًا ... فقد قال لهم رقم «صفر» اعتمدوا على أنفسكم.

وبعد المرور على موظف الحجز ... حمل العاملُ حقائبهم إلى حيث سيُقيمون.

وانطلقوا وهم يستطلعون المكان حول الفندق ... فقد يكون هو ميدان عملهم.

وأثناء سيرهم قال لهم «أحمد»: أتذكرون الجسرَ القديم الذي أشرتُ لكم عليه؟

إلهام: إنه قريب من هنا.

أحمد: نعم ... وقريب أيضًا من «داني مون».

عثمان: تقصد أن الفيلَّا التي يسكنها ...

أحمد: تقع غرب الجسر.

إلهام: إنها مصادفة رائعة.

أحمد: لم تكن مصادفةً.

عثمان: تقصد أن نزولَنا في فندق «ريتر» كان لقربه ...

[أحمد: نعم ...

إلهام: أنا جائعة جدًّا.

أحمد: وأنا أيضًا ... أقترح أن نتناول وجبةَ أسماكٍ يابانية.

إلهام: أوافق على اقتراحك.

عثمان: أما أنا فلست جوعانَ ... بل جوعانُ جدًّا ...

ولكنني أفضل تناول لحم البقر المشوي على الطريقة التركية؟][1]

لم تندم «إلهام» لموافقتها على اقتراح «أحمد» بتناول الأسماك اليابانية.

ولم يندم «عثمان» أيضًا لأنه رفض نفس الاقتراح ... فقد كان سعيدًا جدًّا بتناولِ لحمِ بقرٍ مشوي على الطريقة التركية.

وقد علَّق على ذلك قائلًا: إنه ثالثُ لقاء تركي لي اليوم.

وبعد أن فرغوا من غدائهم ... تفرَّقوا عائدين إلى غُرَفهم.

وفي العاشرة مساءً تسلَّلوا تباعًا ... مغادرين الفندق.

---

[1] الناشر نظرًا لانقطاع السياق.

وعلى بُعد خطواتٍ منه ... كانت تنتظرهم سيارة «بورش» بيضاء.
لم يصدِّق «عثمان» نفسَه عندما رأى «أحمد» يفتح بابها ... ويفتح لهما هما أيضًا.
وما إن اجتمعوا فيها حتى قاله له «عثمان»: أهذه هي المفاجأة؟
أحمد: إنها مفاجأتي أنا.
إلهام: وكيف حصلت عليها؟
أحمد: لقد طلبتُها تليفونيًّا من «شيلر».
إلهام: السائق!
أحمد: نعم ...
عثمان: وهل هي تخصُّه؟
أحمد: تخصُّ أحدَ أصدقائه ... وسأُسدِّد ثمنَها غدًا.
ومستعينًا بذاكرته القوية ... قاد السيارةَ عائدًا من نفس الطريق الموصل للمطار.
وعندما بدَا له الجسر القديم عن بُعدٍ ... توقَّف على جانب الطريق ... وغادر السيارة ... ومن خلفه «عثمان» و«إلهام».
وبين الحشائش الكثيفة ... والأشجار القصيرة المتشابكة ... المغطاة بالجليد ... ساروا تباعًا ... يبحثون عن فيلًّا «داني».
وقد لفحهم البرد ... وتمنَّوا لو يعودون لارتداء ملابس أكثر قدرة على تدفئتهم، غير أن الهدف الذي أتَوا من أجله أنساهم البرد.
وعن بُعد ... ظهرَت مجموعةٌ من الفلل المتناثرة هنا وهناك.
ولفت أنظارهم ... أنها بُنيت جميعًا على طراز واحد.
وعليهم أن يفحصوا أبوابَها كلَّها ... أو صناديق البريد بها ... للوصول إلى ما ينشدون.
ورغم كثرة عدد الفلل ... وتباعدها عن بعض ...
ورغم ما يشعرون به من برد وإرهاق ... إلا أنهم آثروا أن يُكملوا رحلةَ البحث ...
وألَّا يعودوا إلا وقد بدءوا أول خطوة فيها ...
وذلك بمعرفة الفيلا ...
وعلى هدى أعمدةِ الإنارة المحيطة بالفيلَّا، رأت «إلهام» عن بُعد ... فيلَّا ذات طراز فريد ... مختلف عن بقية الفيلَّات.
فنادَت «أحمد» في حذر، وأبلغَته بذلك ... وقد رأى أنها ملاحظة مهمة ...
وعليهم بدْءُ البحث.

الفخُّ!

علا صوتُ حفيفِ أوراق الشجرِ ... المحتكَّةِ بأجسادهم ... فلم يلاحظوا أن هناك مَن يتبعهم خطوةً بخطوة.

إلا أنَّ آذانَ الشياطين الخبيرة ... شعرَت أن هناك خطواتٍ غريبةً عليهم ... فهي لقوام ممتلئ ... وجسد ثقيل ...

وبصفيرٍ خافت ... أمر «أحمد» زميلَيه بالتوقُّف فجأة.

وبالطبع لم يفهم صاحبُ هذه الخطوات ذلك ... إلا بعد أن افتضح أمره ...

وحدَّد الشياطين مكانَه بدقَّة.

فتوقَّف عن الحركة ... في انتظار أن يتحرَّكوا مرة أخرى.

غير أن انتظاره طال دون أن يسمع شيئًا.

وقد كان «أحمد» يقصد بذلك ... أن يدخل في نفسه القلق ...

ويشتِّت تركيزه ...

وكالضوء الذي يشعُّ في اتجاهات مختلفة ... من مركز واحد.

تحرَّك الشياطين، كلٌّ واحد في اتجاه.

وصنعوا مثلَّثًا حول مصدر الصوت ...

وبدأ كلٌّ منهم يُطلق صفيرًا مميزًا ... كلما سَمِعه الرجل ... جرى في اتجاهه.

وبعد بضع خطواتٍ ... يسمعه من خلفه ...

فيعود مرة أخرى يجري في اتجاهه ... وهو لا يعرف أنه ليس صاحبَ الصوت الأول.

وتغيَّر مصدرُ الصوت أكثر من عشرين مرة.

وفي كلِّ مرةٍ، يجري الرجل نحو المصدر ولا يصل.

وكلُّ مرةٍ تقلُّ سرعته. ويعلو صوتُ أنفاسه.

حتى خرج منه صوتٌ كخوارِ الثَّورِ الذَّبيح.

ثم علَا صوتُ سقوطه على الأرض وارتطام جسده ... بأعواد النبات الجافة.

واقترب الثلاثة في حذر.

وعندما أصبح على مرمى بصرهم ... رفع «عثمان» إبهامَه لـ «أحمد» يطلب منه أن يقوم بتفتيشه.

فحرك رأسَه دليلَ الموافقة ... ووضع يدَه على سلاحه ... انتظارًا لحدوث مفاجآت وقد وقعَت المفاجأةُ بالفعل من الرجل.

ولكنها لم تحتَج لمسدسِ «أحمد» ... بل احتاجَت لسواعدهم.

فقد كان الرجل مغشيًّا عليه ... ونبضُه ضعيفٌ للغاية.

وقد يؤدي ترْكُه على هذه الحالة إلى توقفِ قلبه عن النبض.

وعلَّق «عثمان» على ما حدث قائلًا: كيف يُرسلون في أثرنا رجلًا ناعمًا كهذا؟

أحمد: ومَن الذي أرسله؟

عثمان: نزلاء الفندق الذين يتتبعون كلَّ غريب.

إلهام: وكيف عرفت؟

عثمان: ألسنا قريبين من منزل «داني»؟

إلهام: نعم.

عثمان: ألم يتعرَّض «داني» للسرقة أو للتهديد؟

أحمد: أو للاثنين.

عثمان: إذن فهم ينتظرون أغرابًا للتحقيق في الموضوع.

إلهام: أو الوصول إلى شيء لم يصلوا إليه.

أحمد: تقصدين أن المفاجأة لا تزال في منزله؟

إلهام: نعم ...

عثمان: أنا أميل لهذا التصور ... الذي أُحَيِّيكِ عليه.

أحمد: إذن ... الحراسةُ ستكون محكمة.

إلهام: الجائزة تستحقُّ التعب ... أليس كذلك؟

عثمان: طبعًا ... فهي المفاجأة التي انتظرها العالمُ كلُّه.

أحمد: هيَّا بنا إلى الفيلَّا.

إلهام: وهل سنترك هذا الرجل يموت؟

عثمان: لا نستطيع أن نفعل له شيئًا.

إلهام: وقد يعثر عليه زملاؤه فقد يبحثون عنه.

أحمد: بل إنهم يبحثون بالفعل ... ألَا تسمعون صوتَ أقدام؟

إلهام: نعم ... ونسمع لهاثَ كلب.

عثمان: بل أكثر من كلب وسيعثرون علينا.

أحمد: إذن، فلنتحرك.

وفي خفَّة ورشاقة ... ومهارة محترفين ... سار الثلاثة خلفَ بعضهم ... على أمشاطِ أقدامهم ... يكاد الواحدُ منهم لا يسمع وقْعَ خطواته هو.

فقد كانوا ينتقون المواقع الطينية الخالية من أفرع وأوراق الأشجار ... ويسيرون فيها.

وبجوار إحدى الفلل ... توقَّفوا يستطلعون موقفَهم مع مطارديهم ... ولم يلاحظوا أنهم يقفون بجوار سور فيلَّا «داني» إلا عندما لمع ضوءُ كشافٍ ينطلق من أعلى سطح الفيلا ويدور حولها.

فقال «أحمد»: أنقف بجوار الفيلا؟

عثمان: لا أعرف، ولكن هل «داني» يؤمِّن فيلَّتَه إلى هذا الحدِّ؟

إلهام: هذا جائزٌ إذا كانت له علاقةٌ حقًّا بأبحاث الأسلحة البكترولوجية!

أحمد: إذن فدخول هذه الفيلا سيكون صعبًا.

ودوَّى في الصمت صوتُ ارتطامٍ قويٍّ أعقبه صوتُ تناثرِ قطعٍ زجاجية كبيرة هنا وهناك.

وارتفع في المكان صراخُ سارينةِ آلةِ تنبيهٍ ... قفز الشياطين على أثرها فوق السور ... ومنه إلى حديقة الفيلا.

وتوقَّفوا للحظات ... في انتظار مواجهة تقع بينهم وبين حراسِ المكانِ ... فلم يحدث فقطعوا المسافة بين السور ومبنى الفيلا في قفزات رشيقة سريعة.

وعكس بعضهم ... قفزوا يدورون في حذر حولها ... يبحثون عن باب مفتوح أو منفذ يدخلون منه ... فلم يجدوا لها بابًا واحدًا ... ولا حتى نافذة ... فلكل الفيلا حائطٌ واحد يحيط بمساحة من الأرض.

فلم يصدقوا أعينهم ... فقد رأوا من بعيد بلكوناتٍ ونوافذَ وأبوابًا ... فهل كانوا يحلمون أم أنهم دخلوا مكانًا آخر.

وإذا لم تكن هذه هي الفيلَّا، فماذا تكون؟

ولأيِّ غرضٍ أُنشئ هذا المبنى الذي ليس له منفذٌ واحد؟

والذي تحميه كاميراتُ مراقبةٍ وكشافاتٌ تمسح المنطقةَ حوله ولا تهدأ؟

وكيف يكون مبنى له هذه الأهمية ... وليس به حارسٌ واحدٌ يعترضهم منذ دخولهم ...

ولماذا لم يَعُد أحدٌ منهم يسمع لهاثَ الكلابِ التي كانت تُطاردهم؟

ولا أصوات أقدام أصحابها؟

هل هو فخٌّ قادوهم إليه وتركوهم ... وهل معنى ذلك أنهم لن يستطيعوا الخروج منه؟

دخولُ فيلا «داني»!

نعم الظلامُ دامسٌ بين أسوار ذلك المبنى، ولكنَّ بعض أعمدة الإنارة المتناثرة هنا وهناك ... تكشف لهم ما يمكِّنهم من التحرك بحرية.

وقد كان ذلك مفيدًا جدًّا لحالة الحيرة التي وقعوا فيها ... فهم لا يصدقون أن هذا المبنى هو ما رأوه من خارج الأسوار.

وبصفيرٍ حادٍّ مميز أطلقه «أحمد» ... اجتمع الثلاثة مستترين بالظلمة ... ليقرروا ما يمكن عمله ... ولاحظَت «إلهام» أن «عثمان» شاردٌ عنهم ... يحلِّق ببصره بعيدًا ... رغم أهمية ما يقولونه فدفعَته في كتفه مرةً وأخرى حتى انتبه لها ... وعندما سألته عن سبب شروده أشار لها بإصبعه وهو يقول: أترَين هذه الفيلا؟

إلهام: ماذا يشغلك فيها؟

عثمان: إنها الفيلا التي نقصدها.

أحمد: لا ... لا يا «عثمان» ... لقد تحركنا في الاتجاه الصحيح.

عثمان: أعرف ... وقد دخلنا فيلا «داني».

إلهام: ماذا تقول؟

عثمان: نعم ... نحن بين أسوار فيلا «داني» ...

أحمد: إذن ما الذي تُشير عليه؟

عثمان: إنها نفس الفيلا.

إلهام: كيف؟

عثمان: إذا عبرت أسوار هذه الفيلا من أي اتجاه ... فلن تقودك إلا إلى هنا.

إلهام: لا داعي لأن أفهم الآن ... ولكن أكمل.

عثمان: وهذا المبنى الذي نقف بجواره هو ملحقٌ للفيلا.

أحمد: تقصد أن هذا هو السرُّ ... في أن ليس له منفذ؟

عثمان: نعم ... فالدخول إلى هذا المبنى يتمُّ عن طريق الفيلا.

أحمد: وكيف عرفت؟

عثمان: ليس له سورٌ فاصل بينه وبين حديقة الفيلا.

إلهام: لا ... بل أرى سورًا يختفي بين الأشجار القصيرة هذه.

أحمد: «عثمان» على حقٍّ يا «إلهام» ... فهو ليس سورًا حقيقيًّا ...

إلهام: إذن فنحن محظوظون.

أحمد: لماذا؟

إلهام: إذا كان ما نقوله حقيقةً ... فلن يكون هذا المبنى غير مركز أبحاث «داني مون».

عثمان: أوه ... هذا صحيح.

أحمد: لم يبقَ لنا غير كيفية دخوله ...

عثمان: ليس لنا طريق غير المبنى الرئيسي ... وأنا الذي سيأتيكم بالخبر اليقين عنه ...

وأكمل جملته وهو يقفز متخفيًا في الظلام ... حتى اقترب من سور الأشجار الفاصل بين ساحة المبنى وساحة الفيلا، فأخرج رأسه من بين الأشجار يستطلع المكان ... وكادت تكون المرةَ الأخيرة له برأسه ... فقد انقض عليه كلبٌ شرس ... وكاد أن يقطعه له ... لولا سرعة قراره وخفة حركته ... التي جعلته يجري ولا يتوقف حتى رأى «أحمد».

وفهمت «إلهام» من سرعة أنفاسه ... والعرق يتصبَّب منه رغم البرد ... مدى قوة الحراسة على المبنى الرئيسي ... وتوقعت بعد ما حكاه لهم «عثمان» أن يكونوا في أثره.

وبدءوا يخططون لكيفية الهروب ... واحتمال المواجهة ... لولا جلبةٌ صادرة من أعلى سطح المبنى ... قطعَت عليهم كلَّ ذلك ...

وفي ثلاث بؤر مظلمة انبطح ثلاثتُهم ... يراقبون ما يحدث فوق سطح المبنى ... وقد انبطح فوقه ثلاثةُ رجالٍ مسلحين ... بينما انشغل آخرون في حلِّ أجزاء الكشاف.

وأثناء انشغالهم في إصلاحه ... زحف الشياطين على بطونهم حتى يتوارَوا عن مرمى بصرهم ونيرانهم ... إلى أن صاروا خلف المبنى ... فرأوا ما لم يصدقوه في بادئ الأمر.

إنه سُلَّمٌ مجدولٌ من الحبال، ومتدلٍّ من أعلى المبنى ... وأعلنَت «إلهام» دهشتَها قائلة: لقد كنت أتصور أنهم خرجوا من داخل المبنى.

أحمد: هذا ما حدث ...

إلهام: إذن ما معنى وجودِ السُّلَّمِ هنا؟

عثمان: معناه أنهم سينزلون عليه للبحث عنَّا بعد أن ينتهوا من إصلاح الكشاف.

أحمد: إذن ما رأيك في أن نسبقهم؟

عثمان: ما رأيك أنت؟

إلهام: وما رأيكم في أن أسبقكم أنا؟

وقبل أن يعترضَ أحدٌ أو يقترح آخر ... كانت «إلهام» تنثني وتنفرد كالإسفنجة فوق الحبل ... دون أن يصدرَ منها صوتٌ ولو خافتًا.

ففهما أن قرارها كان صائبًا ... فهي أخفُّهم وزنًا وحركةً ... وأكثرهم ليونةً ... مما يجعلها الأصلحَ للتمهيد ... وإزالة أيِّ عائقٍ يعترضهما ... دون أن يشعر بها أحدٌ.

وفي صمتٍ تعلَّقت عيونهما بها ... يراقبانها حتى توارت عنهما.

وبعد فترةٍ من الانتظار والترقب ... رأوا السُّلَّمَ يرتفع لأعلى ... فعرفوا أنها قد قُبضَ عليها ...

فقال «عثمان»: وما العمل إذن ... كيف سنعاونها في مهمتها في الداخل وليس لدينا سُلَّمٌ؟

أحمد: ومَن قال لك إننا سنحتاج لسُلَّمٍ؟

عثمان: كيف سنصعد؟

أحمد: ليس فيما أقوله لغزٌ؟

عثمان: إذن كيف سنصعد على سُلَّمٍ ... وليس لدينا سلَّمٌ؟

أحمد: نحن ليس لدينا ... ولكن هم لديهم.

عثمان: وكيف سنحصل عليه؟

أحمد: سنجعلهم يقبضون علينا.

عثمان: ماذا تقول؟

أحمد: ليس لدينا حلٌّ غير ذلك.

عثمان: وكيف سيروننا؟

أحمد: سنقف في مواجهة الكشاف.

عثمان: سيقتلوننا ...

الكشاف!

لم تكن «إلهام» قد قُبض عليها كما ظن زميلاها عندما شاهدَا السُّلمَ يرتفع ... بل هي التي رفعَته ... فلم يكن هناك ممرٌّ يستطيعون دخول المبنى منه غير الذي يقف عنده الحرس.

والمكان الوحيد الذي يمكن الاختباءُ فيه ... لا يتسع لأحدٍ غيرها.

ولو كان «أحمد» يعلم ذلك ... ما وقف في ساحةِ المبنى منتظرًا أن يتمَّ إصلاحُ الكشاف ليروه ويقبضوا عليه.

وجرت الأحداث أسرع مما توقعوا ... فقد رآهما أحدُ الرجال المسلحين ... فصاح بأعلى صوته ... مناديًا على مزيد من الجنود ... آمرًا الجميع بإطلاق النار ... وقتْل كلِّ ما يرونه.

ولم تتركه «إلهام» يُصدر المزيد من الأوامر ... بل آثرَت أن يكملَها في الهواء فدفعَته بركلة قوية في وسطه ... وقبل أن يلتفتَ لها الباقون ... كان مدفع قائدهم قد وقع في يد «عثمان» الذي صوَّبه على الرجلين الواقفين بأعلى المبنى ... فأرداهما قتيلَين.

وأصبح لدى كلٍّ منهما مدفعٌ آليٌّ خفيفٌ.

وقررَا في اتفاق سريع ... أن يُعيدَا تدمير الكشاف.

وبعد أن يصوِّبَا إليه مدفعَيهما ... وقبل اتخاذ قرار الإطلاق ...

شاهد «إلهام» تقف بجواره فاتحةً ساقَيها ... ممسكةً بيدٍ مدفعًا وبالأخرى تُشير لهما أن يفعلَا ذلك.

كانت المفاجأة أكبر من تصور زميلَيها ... ولكنها كانت جميلة.

وفَهِمَا من إشارتها أنها ستُلقي لهما السُّلمَ ... فجرى «عثمان» إلى جوار الحائط ... تاركًا «أحمد» يحميه ...

وبمجرد نزول السُّلم ... قفز فوقه ... ممسكًا درجاته بيد ... وبالأخرى الرشاش ... ولم ينتظر «أحمد» طويلًا ... فقد رآه يقف بجوار الكشاف ... شاهرًا مدفعه ... ويشير له أن يصعد؟

غير أنه أشار له بعض إشارات ... فَهِم منها أنه يفضل البقاء في ساحة المبنى لإحكام السيطرة من أعلى ومن أسفل.

وعند سُلَّم دخول المبنى وقفَت «إلهام» تنتظر ظهورَ أحدهم.

وعرفَت أن هناك خطةً تُعدُّ بداخل المبنى للقبض عليهم ... فآثرَت ألَّا تتركَهم يفكرون بهدوء ... وأن تدفعهم للاصطدام بهم.

فأطلقَت دفعةَ رشاشٍ من أعلى المدخل الموصِّل للمبنى ... فلم يجاوبها أحدٌ ولو بطلقة واحدة ... فنزلَت السُّلَّم في حذر ومدفعها مهيَّأ للإطلاق ... حتى وصلَت إلى بابٍ حديديٍّ مواربٍ ... فمدَّت مشطَ قدمها ... بعد أن توارَت خلفه ... ثم فتحَت في حذرٍ فلم ترَ سوى صالةٍ شديدة الاتساع خاليةٍ من الأثاث ومن الرجال.

ومن خارج المبنى سمعَت جلبةً ... ورصاصاتٍ تُطلق من هنا وهناك.

فعادت سريعًا للسطح ... فرأت «عثمان» منبطحًا على صدره خلف الكشاف ... ومدفعه بجواره ... فسألته قائلةً: ماذا حدث يا «عثمان»؟

عثمان: مجموعةٌ من الرجال المسلحين تملأ ساحة المبنى.

إلهام: وأين «أحمد»؟

عثمان: لا أراه بينهم.

إلهام: وما العمل ... لن نستطيع دخول المبنى ونتركه.

عثمان: ألم تُلاحظي مَن كان يصلح الكشاف؟

إلهام: نعم لاحظتُه ... لماذا؟

عثمان: أريد أن أعرف من أين أديره.

إلهام: أنا لا أعرف ... هل أُديره لك؟

عثمان: نعم ... وأعدِّي مدفعك.

ومن ساحة المبنى الخارجية ... تعالَت صيحاتُ الألم من الرجال ... عندما اصطدمَت عيونُهم بضوء الكشافِ القويِّ.

وجروا يهربون منه ... و«عثمان» يطاردهم به أينما ذهبوا ... إلى أن خرجَت أولُ طلقة من «إلهام» ... أسقطَت أحدهم قتيلًا ... وقطعَت الثانيةُ سكونَ الليل ... وسكنت في

صدرِ رجلٍ آخر ... فسقط بجوار زميله ... فأطلق الباقون وابلًا من الرصاص ... تناثرَت هنا وهناك ... فصاح فيهم «عثمان» قائلًا: ألقوا أسلحتكم.

فردوا عليه بمزيدٍ من الطلقات ... فأطلق دفعةَ طلقاتٍ من مدفعه ... أسقطَت منهم المزيد ...

فصاح الباقون يُعلنون استسلامهم ... ثم ألقوا أسلحتهم على الأرض.

فنادَت «إلهام» على «أحمد» قائلةً: اقبض عليهم يا زعيم.

وانتظرَت أن ترى «أحمد» يخرج من جوار البناية شاهرًا مدفعه ... فلم يحدث فصاحَت في قلقٍ تقول لـ «عثمان»: أليس هذا الوقت المناسب لخروجه؟

عثمان: نعم ... وسيخرج ويقبض عليهم.

إلهام: متى؟ ... لقد تأخر.

وشعر أحد أفراد العصابة ... أن الموقف يخرج من بين أيديهما ... وأنه يستطيع اصطيادهما وهما يتحدثان ... فمدَّ ذراعَه في نعومة ... وأمسك بأحد المدافع وصوَّبه لـ «عثمان» ... وانطلقَت في الهواء رصاصةٌ اخترقَت رأسَه.

وسقط منه المدفع ... وقبل أن يسقط هو فوقه ...

وصاح «عثمان» قائلًا: أرجو أن يكرِّرَها أحدُكم.

فقال واحدٌ منهم: وهل سنظلُّ جالسين هكذا؟

عثمان: لا ... فلي عندك مهمةٌ ستقضيها لي.

الحارس: ما هي؟

عثمان: سأدور بالكشاف حول المبنى ... وعليكم أن تدوروا مع الكشاف ... على أن تكونوا دائمًا في دائرة الضوء ومَن سيخرج عنها ... سأقتلك معه.

الرجل: ولماذا تقتلني معه؟

عثمان: لأني أشعر أن لك تأثيرًا عليهم ... تحرَّك.

وبدأ «عثمان» يمسح المكان بالكشاف بحثًا عن «أحمد» والحراس يجرون مع الضوء وهم حريصون على ألَّا يخرجوا عن دائرته.

وأعجبت «إلهام» الفكرةُ ... ورأَت أن لها فائدةً ثانية غير البحثِ عن «أحمد» ... وهي إبعادهم عن أسلحتهم.

فأنزلَت السلَّمَ بعيدًا عن ضوء الكشاف ... وجمعَت أسلحة الحراس فأفرغَتها مما بها من طلقات.

وبعد أن انتهَت من ذلك عادَت إلى السلَّم ... فلم تجده.

فاستدارَت سريعًا شاهرةً مدفعها ... تبحث عمَّن فعل ذلك.

فلم ترَ إلا ظلامًا ... فقد دار «عثمان» بالكشاف ... خلف المبنى.

فألصقَت ظهرها للحائط ... ووقفَت مرهِفةً حواسَّها ... مصغيةً سمعَها ... مترقبةً ظهورَ أحدِ الحرَّاس.

النفق القاتل!

وما إن التقطَت أُذُناها حركةً قريبةً منها ... حتى أطلقَت مجموعةَ طلقاتٍ في اتجاهها ...

وانتظرَت أن تسمعَ مرةً أخرى ... وقد توترَت أعصابها ... فأطلقَت مجموعةَ طلقاتٍ أخرى ... بمجرد أن سمعَت حركةً في الاتجاه الآخر.

وقبل أن تنتبهَ كانت حركتُها قد شلَّت ... ومدفعها قد طار في الهواء.

وعندما عادت للمقاومة ... سمعَت مَن يقول لها بصوت خافت: أنا «أحمد» يا «إلهام» ...

فرحَت «إلهام» كثيرًا ... وقالت له هامسة: ولماذا تفعل ذلك؟

أحمد: سأُخبرك بكلِّ شيء ... ولكن لا تُصدري أيَّ صوت.

إلهام: وهل أنت الذي رفعتَ السلَّمَ؟

أحمد: بل فككتُه.

إلهام: ماذا؟

أحمد: لقد كنت أريد حبالًا لتقييد الرجال.

إلهام: وهل قيَّدتهم؟

أحمد: نعم ...

إلهام: وهل «عثمان» يعرف؟

أحمد: لقد كان يحرِّكهم خلف الضوء ... لكي أتمكنَ من اصطيادهم واحدًا تلو الآخر وأقيِّدهم.

إلهام: يا لَكم من شياطين ... وكيف اتفقتما على ذلك؟

أحمد: بلغة الصفير.

إلهام: لم أسمعك ... ولكن لماذا تتحرك بحذر ... وتتحدَّث بهمس هكذا؟

أحمد: هناك مجموعةٌ من الحراس تُتابعنا من تحت الأرض.

إلهام: من تحت الأرض؟!

أحمد: نعم ... فهناك سردابٌ تحتنا ... وقد لمحتُهم من بعيد يرفعون مربعًا من أرض هذه المساحة ... ورأيت قممَ رءوسهم تخرج منها ... إلا أنهم عادوا سريعًا إلى أسفل ... وعادَت أرض المكان إلى ما كانت عليه!

إلهام: وهل «عثمان» يعرف؟

أحمد: لا يعرف التفاصيل.

إلهام: ولكنه يعرف أن هناك رجالًا آخرين ليسوا تحت سيطرتنا!

أحمد: نعم ... واصطياد هؤلاء الرجال سيمكِّننا من دخول المبنى من هذا السرداب.

إلهام: لذلك اتخذتَ قرارَ فكِّ السلَّم.

أحمد: نعم.

ومن أعلى البناية ... صاح «عثمان» قائلًا: الآن فرضت سيطرتي على المكان.

الآن لا يستطيع أحدٌ أن يخالفَ أوامري ... فأنا الملك هنا ...

وتعجبَت «إلهام» وقالت: ما الذي يفعله «عثمان»؟

فابتسم «أحمد» وقال: هذا حقُّه ... وسأردُّ عليه.

وجرى «أحمد» حتى صار في مواجهة الكشاف، وقال له: بل أنا الملك.

ثم أطلق دفعةَ طلقاتٍ ... أصابت الكشاف فحطَّمَته ... وتناثرَت ذراتُ الزجاج منه كالمطر.

وساد المكانَ ظلامٌ مخيفٌ ... وعاد «أحمد» إلى «إلهام» فسلَّمها مدفعًا خزانتُه ممتلئة وتركها واختفى في الظلام.

وبعد دقائق من الانتظار مرَّت كالدهر ... رأت «إلهام» جزءًا من أرض المساحة يتحرك ... ثم يرتفع لأعلى ... وأنوار عدد من الكشافات اليدوية تتراقص تحته ... وعلى أضوائها رأَت مجموعةً من السواعد ترفع الغطاء ... ثم عددًا من فوهات المدافع تظهر تحته ... إلى أن خرجَت مجموعةٌ من الرجال يحملونه ... وما إن أصبحوا خارج الفتحة ... حتى أعادوا الغطاء إلى مكانه مرةً أخرى.

وأعطى كلٌّ منهم ظهرَه للآخر ... وساروا يمسحون المكانَ بحثًا عن الشياطين، وما إن اقترب منها أولهم حتى استعدَّت ... إلى أن رأَته في متناول بندقيتها ... فضربَته بكعبها على رقبته ... فصدر منه صراخ مكتوم ... قبل أن يسقط على الأرض مغشيًّا عليه.

وهكذا فعلَت مع الذي يليه ... إلا أنها لَحِقَته قبل أن يصطدمَ في الظلام بزميلِه الممدَّدِ على الأرض.

وفي الناحية الأخرى، كان «أحمد» يقوم بنفس العمل بمهارة ... إلى أن انتهى منهم ... فقيَّدهم بمجموعة من الحبال ... خلَّصها من السلَّم ... ثم استعان بـ «إلهام» في رفع غطاء السرداب ... وهبطَا درجاتِ سُلَّمِه في حذرٍ ... ثم أعاد الغطاء مرةً أخرى ... وأكملَا هبوطَ السلَّمِ إلى أن وصلَا إلى نفق طويل مظلم ... وأعلى حائطه الأيمن شريطٌ مضيءٌ بطول النفق ... أعانهم على استكمال طريقهم فيه.

ولاحظَت «إلهام» أن طولَ النفق يزيد كثيرًا على المسافة بين مدخله والمبنى.

وشعرَت أنه يقودهم إلى مكان آخر.

وشعر «أحمد» بذلك أيضًا فقال لها: سيبحث عنَّا «عثمان».

إلهام: هل يعرف إلى أين نذهب؟!

أحمد: بل يعرف إلى أين كنَّا ذاهبين؟

إلهام: هل شعرت بأن النفق يأخذنا لمكانٍ آخر؟

أحمد: أخاف أن يكون فخًّا.

إلهام: ألم يخرج منه الرجال أمامنا؟

أحمد: «إلهام» ... ألا ترَين أن مقدمة النفق تتحرك؟

إلهام: نعم ... ولكن قد يكون ذلك من تأثيرِ الإرهاق.

أحمد: الإرهاق لا يرينا ظاهرةً واحدةً ... ما دمنا اجتمعنا على شيءٍ فهو حقيقة.

إلهام: إنها تقتربُ أكثر ...

أحمد: هل سنتوقف؟

إلهام: بل سنجري ... اجرِ يا «أحمد» ... إن سرعتها زادت كثيرًا!

وانطلقت «إلهام» تجري ومن خلفها «أحمد» ... ومقدمة النفق تجري خلفهما ... وكأنها تنوي الوصول به إلى نهايته ... ثم تعصرهما بين فكَّيه.

وطالت مسافة العودة ... ولم يتوقفا عن الجري ... ولم يتوقف حائطُ النفق عن ملاحقتهما.

ونال منهما التعب ... وتعثرَت أقدامهما أكثر من مرة ... وفي كلِّ مرة ... يُسرعان بالوقوف مرةً أخرى ... ليكملَا الجريَ في فزع ... فقد زادت سرعة الحائط ... وقلَّت سرعتهما ... ولم يَعُد لهما أملٌ في النجاةِ ...

الخدعة!

ونال الإرهاق كثيرًا من «إلهام» ... ولم تستطع أن تستمرَّ في الجري ... وسقطَت مغشيًّا عليها ... وحاول «أحمد» مساعدتَها على الوقوف ... فلم تتمكن ... فحملها وجرى بها ... إلا أنَّ قوتَه خارَت ... فاستسلم لقدرِه وتوقَّف عن الجري ... واضعًا «إلهام» أمامه على الأرض.

واقترب الحائطُ منه ... إلى أن اصطدم به ومرَّ ... و«أحمد» ينظر له في ذهول فقد نجا من خطرٍ محققٍ ... أو وهْمٍ محقق.

فقد كان هذا الحائطُ خدعةً ضوئية ... ولم يكن حائطًا حقيقيًّا يتحرك.

وبعد عدةِ محاولاتٍ تمكَّن من إعادة «إلهام» إلى وَعْيها.

وما إن انتبهَت إلى ما حولها ... حتى سألَته قائلة: الحائط يا «أحمد» أين هو؟

أحمد: ليس هناك حائطٌ ... إنها خدعةٌ تكنولوجية.

إلهام: إذن فهذا النفقُ خدعةٌ ...

أحمد: لا أفهم.

إلهام: لقد سِرْنا فيه كثيرًا ولم نَصِل.

أحمد: أنا أسمعُك.

إلهام: إن أرض هذه النفق تتحرك عكسَ حركتنا.

أحمد: تقصدين أننا لم ننتقل من مكاننا؟!

إلهام: منذ دخلنا.

أحمد: يا لَهم من شياطين.

ورغم الإرهاق ابتسمَت «إلهام» ... فقد نجَت من أخطار وهمية ... وتعرَّضَت لأغربِ حالةِ نصبٍ.

وعندما قالت ذلك لـ «أحمد» سألها قائلًا: وماذا أخذوا منك في عملية النصب هذه؟

إلهام: أخذوا وقتي وجهدي وأعصابي وأمانة النفس.

أحمد: إنها أخطرُ عملية نصب.

إلهام: كيف سنعود إلى سلالم السرداب مرة أخرى؟

أحمد: لا أعرف ... فأرضُ النفقِ تتحرك عكسَ حركتنا فتُبقينا في مكاننا ...

إلهام: لقد واتَتْني فكرةٌ ...

أحمد: ما هي؟

الهام: نسير عكسَ بعضنا.

أحمد: واه ... يا لَها من فكرة عبقرية ... إنكِ عبقريةٌ يا «إلهام».

فأطرقَت في خجل وقالت: أَخْجلتُم تواضُعَنا.

أحمد: أي أننا سنخرج من النفق.

إلهام: نعم ... هيَّا بنا.

وسارَت «إلهام» في اتجاه العودة ... وسار «أحمد» عكسها ...

وارتفع في المكان صوتُ غمغماتٍ ... ونغماتٍ مختلفة ...

ثم زمجرة عالية ... وعلا صفيرُ ريح شديدة ... ثم انفتح في آخر النفق بابٌ بدَت من خلفه قاعةٌ شديدةُ الاتساع ... خاليةٌ من الأثاث ... ومن كلِّ شيءٍ إلا من ضوء شديد يغمرها ... وكأنَّ نجمًا يسكنها.

وقبل أن يدخلا القاعة ... مدَّ يده لـ «إلهام» ... التي لم تصدِّق نفسها وهي تسير؛ فقد وصلَت إلى «أحمد» ووصلَا سويًّا إلى نهاية النفق أخيرًا.

وقبل أن يدخلا القاعة قال لها: الآن سنعبر القرن الواحد والعشرين.

فنظرَت له «إلهام» مندهشةً ... فقال لها: هذه هي المفاجأة ...

إلهام: وكيف عرفت؟

أحمد: من أسلوب حماية المقر ...

إلهام: تقصد النفق الحائط؟

أحمد: نعم ...

وما إن دخلَا القاعة حتى اختفى الباب ... وتحوَّل إلى مساحة من الحائط وسرَت في ذراعَيهما فجأةً ... رجفةٌ شديدة ... ولم تتوقف إلا بعدما خلعَا ساعتَيهما.

ولم يَعُد أمام «أحمد» طريقةٌ للاتصال بـ «عثمان» غير الصفير.

إلا أنه توقَّف عن هذه المحاولة ... فقد شاهد في آخر القاعة «عثمان» يتأبط ذراعَ رجل آلي بديع المنظر ... ويقول لهما: أهلًا بكما ... هذه هي المفاجأة.

أحمد: كيف حصلت عليه؟

عثمان: لقد تحادثت مع الكمبيوتر!

أحمد: وما المفاجأة فيه؟

عثمان: إنه على اتصال بكثير من الأقمار الصناعية ... ويحصل على معلوماته من أيِّ مكان في العالم في ثوانٍ معدودةٍ.

إلهام: وكيف يمكن التعاملُ معه؟

عثمان: كما تتعاملين مع أيِّ إنسانٍ راقٍ ...

أحمد: وكيف تُديره؟

عثمان: هو يُدير نفسَه مثلي ومثلك ...

ويُنشئ شبكةَ علاقاتٍ خاصَّة به ... بنفسه.

إلهام: وكيف تم إخفاؤه من اللصوص؟

عثمان: لم يُخفِه أحدٌ.

أحمد: وهل حاول أحدٌ سرقتَه؟

عثمان: نعم ...

أحمد: ومَن الذي دافع عنه؟

عثمان: هو الذي دافع عن نفسه.

أحمد: وكيف عرفت كل ذلك؟

عثمان: هو حكى لي.

وفي صوت واحد ... صاح كلاهما قائلَين: إنها حقًّا مفاجأة رائعة!

هنـــداوي